

إن هذا البحث الصعب يبدأ بملحوظة صغيرة : فأنت عندما تذهب إلى الطبيب تشعر بشيء من التحسن ، حتى قبل أن يراك . . بل يحدث كثيراً أنه بعد أن تحصل على موعد لقاء من الطبيب تشعر بشيء من التحسن . لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تتم هذه الحالات النفسية وما هذا الذي أدى إلى تحسنتك . هل هو صوت الطبيب . . هل هي عيادة الطبيب والشهادات المعلقة على الجدران . . هل هو الزحام الذي يؤكد لك أن الطبيب ممتاز بدليل هذا الاقبال عليه . . هل هو مجرد أن يراك وأن تراه وأن تشعر معه وإلى جواره بالأمان . . هل هي الرغبة العميقة في الشفاء . . ثم أين تجرى هذه المشاعر كلها وكيف تؤثر على جسمك ، على وظائفك ، على متاعبك ؟

هذه هي البداية الصغيرة لهذه الرحلة الطويلة العميقة داخل العقل الإنساني . والسؤال بصورة أخرى ومرة أخرى : كيف يؤثر عقلك في جسمك ! ثم أين هو هذا العقل ؟

* * *

إن الكثيرين من المرضى قد تحسنت حالتهم الصحية عن طريق عقولهم . عشرات الأمثلة تؤكد أن الطب وقف حائراً أمام المرض والمريض . وفجأة ، أو بمعجزة ، تحسنت صحة المريض . والسبب هو المريض نفسه .

إن مريضاً قد يئس منه الطب الحديث ، طلب بعض الأفلام المضحكة وبرغم عجزه عن الضحك فإن هذه الأفلام قد هزته من أعماقه قد أسقطت عنه متاعب وهموماً في وزن الجبال . إن الأطباء يقفون حول المريض يرون ما الذي يقدر عليه الضحك وعجزت عنه الأشعة . . واستطاع الضحك وإصرار المريض وعقله أن يحير الأطباء وأن يخفف الداء حتى الشفاء . . وما من طبيب